الباب السادس

صياغة البحث التاريخى فى شكله النهائى

- معنى كون التاريخ (علماً) وأثر ذلك على الصياغة.
- عرض الآراء المختلفة وترجيح احدها أو الإدلاء برأى جديد.
- ربط الوقائع التاريخية بعضها بالبعض الآخر.
- البحث عن الدوافع أو الذرائع .
- استنتاج الحقيقة التاريخية .
- التوثيق أو كتابة الحواشي .
- قائمة المراجع (البيليوجرافيا).
- نشأة علم التاريخ عند المسلمين، وأثر ظروف النشأة على المنهج والصياغة.

التاريخ علم، وهو علم إنساني، ولأنه علم فهو لا يتحمل لغو الكلام، ولا الإمعان في الخيال ولا طغيان زخرف القول على الحقيقة أو المعلومة.

ولأنه علم إنساني، ولأن مجاله الأساسي هو الإنسان، بما يعتريه من انفعال ومشاعر، ومايُحَرِّكه من بواعث ، ومايرنو إليه من طموح ومقاصد، فلابد للباحث في مجاله – أي التاريخ – من أن يمتلك ناصيةَ الكلمة، أديباً أو يكاد، حتى يكون في مُكْنَتِه أن يعبِّر عن هذه المشاعر الإنسانية والبواعث البشرية تعبيراً صادقاً .. ومما يذكر أن التعبير عن المشاعر هو أيضاً محور الأدب ، لكن الفارق بين الأدب والتاريخ كبير، فالتاريخ علم مجاله الحقائق الواقعة فعلاً، مَسْعاه تحقيقها، ومبْتغاه تأكيدها أو نفيها، ومُراده تحليلها وتركيبها .. لذلك فإن الباحث التاريخي بعد أن يجمع مادته من الوثائق وماشابهها ، والمراجع والمخطوطات وما إلى ذلك، عليه أن يمكث طويلاً متأمِّلاً متفكِّراً متدبِّراً فيما لديه من معلومات يقارنها ويعارضها ويخضعها للعقل طوراً ، وللقلب طوراً ، وهو – أي الباحث – في ذلك قد يتخذ أساليب شتى، حتى يخرج ببحثه التاريخي سوياً واضحاً منطقياً ، لاشبهةَ فيه. وهدفنا في هذا الباب ذكر بعض هذه الخطوات التي يسير فيها الباحث بعد أن جمع معلوماته حتى يخرج ببحثه النهائي ، وقد تعمدنا ضرب الأمثلة والإكثار، حتى لاتخرج الفكرة مجرَّدة فلسفية أقرب إلى البحث الميتافيزيقي ، وذلك للأسف ماتتميز به كتب فلسفة التاريخ ومنهجه مما يجعلها بعيدة عن عقل الطالب الناشىء أو الباحث المبتدئ .

عرض الآراء المختلفة ثم ترجيح أحدها أو الإدلاء برأي جديد :

لابد للباحث في مجال التاريخ خاصة إن عرض لمسألة خلافية – أي تكثر الخلافات حولها – ألا يكتفي برأي دون آخر، أو بصادر الآراء كلها لصالح رأى واحد منذ بداية بحثه، وإنما عليه أن يستعرض بنزاهة كل الآراء ، ثم يناقشها ليخلص بترجيح لأحدها أو لينبذها جميعاً ليأتي برأي جديد من لَدُنه مُقَدَّماً بين يديه وثائقه ومراجعه ومصادره وأدلته وأسانيده .

ومن البحوث التي سنعُرض لجانب منها لتوضيح ذلك ماكتبه الدكتور إبراهيم علي طرخان[1] في مبحث له عنوانه «امبراطورية الفولانيين الإسلامية»[2] يقول المؤلف بعد سطور قليلة تعرض فيها لأهمية موضوع بحثه : « .. أما عن أصول الفولانيين ، فهي غامضة وغير محققة على وجه اليقين ، وكانت ولاتزال مجال نقاش، حتى بلغ تشعب الآراء حول هذه الأصول ، حداً دفع بعض الباحثين إلى القول بأن أحداً لا يعرف من أين جاء الفولانيون ومتى جاءوا؟! بل إن التقرير الرسمي الصادر عن وزارة الإعلام النيجيرية عام ١٩٦٣ يشير إلى أن الفولانيين ربما يكونون قد جاءوا من شمال أفريقية وسواحل البحر الأبيض المتوسط .

يقول علماء الأجناس ، ومن بينهم توكسر. L. Tounder ان الفولانيين من الحاميين الذين جاءوا من شرقي أفريقية ، ويحدد فاندلير أكثر ، فيقول : إنهم من سلالة قبائل الجالا Galla المنتشرة في جنوبي الحبشة وقد وصلوا إلى حوض النيجر خلال تجوالهم في أعمال الرعي . وزعم بعض الكتاب أن الفولانيين جاءوا أصلاً من الملايو . وقال آخرون : إنهم يرجعون إلى الفينيقيين أو الهنود ، ويشبه تمبل Temple أحد حكام نيجيريا في العهد الاستعماري الإنجليزي – شباب الفولانيين بصور الهكسوس التي صورها المصريون القدماء ولكنهم في سن الكهولة يشبهون اليهود .وذكر دولافوس Delafosse وجاكسون G.Jackson وبوبدرال Depedrals أن الفولانيين من الساميين ، ويرجعون إلى اليهود السوريين ، وأضافوا أن جالية يهودية كانت تقيم في واحة توان جنوبي الجزائر، إبان حركة التوسع الإسلامي في شمال أفريقية خلال القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) وأن هذه الجالية كثر عددها وانتشرت فيما حول الواحة ، ثم تحركت حتى وصلت إلى تمبكت على النيجر، ومنها اتجهت نحو الغرب إلى فوتا جالون وأراضي السنغال حيث اختلط أفرادها بالوطنيين السود .

وعند الفولانيين أسطورة قديمة متداولة مؤداها أن جَدهم الأكبر هو يعقوب ابن اسحق بن إبراهيم عليه السلام ، وأنهم هاجروا من أرض كنعان إلى سيناء فمصر حيث كان يوسف الصديق عليه السلام وأنهم تعرضوا لاضطهاد فرعون فيما يزعمون حقداً على نشاطهم

---

(١) أستاذ تاريخ العصور الوسطى بقسم التاريخ ، بكلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، وعمل أستاذاً للتاريخ الوسيط في جامعات مصر، ومن الاختصاصيين الكبار في التاريخ الأفريقي ، ومن مؤلفاته : امبراطورية صنغي، امبراطورية مالي الإسلامية، امبراطورية غانا الإسلامية إمبراطورية البرنو الإسلامية.. الخ

(٢) نشره في مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود (الرياض) المجلد السادس ١٩٧٩ (١٤٠٠) هـ .

الاقتصادي وثرائهم ، فعاد بعضهم إلى كنعان بزعامة موسى عليه السلام، وهاجر البعض الآخر نحو مغرب الشمس فعبروا النيل إلى برقة حيث اختلطوا بالوطنيين ، واستمروا في حركتهم إلى غرب أفريقيا ، وهناك ازداد اختلاطهم واندماجهم مع السكان المحليين ، ولاسيما الهوسا Hausa واتخذوا لهم اسماً جديداً هو فوذ Fouth تخليداً لنجاتهم، ويعلق دوبدرال على هذه الأسطورة بقوله : إن كلمة فوذ هذه لها أصل ديموطيقي مصري، هو بورت Pourt ويقابله في اللغة القبطية كلمة توت Tot ومعناها يهرب .

. و هناك رواية تقول إن جماعة يقال لها فوذ ، هاجرت أصلاً من العراق إلى مصر حيث عاشت فترة طويلة ثم تحركت نحو الحبشة حيث استقرت أو تفرقت داخل أفريقية خلال القرن السادس قبل الميلاد ..» وهكذا يستمر المؤلف في استعراض كل الآراء الواردة عن أصل الفولانيين لا يفلت منه رأي قيل أو ملاحظة وردت .... ثم يبدأ في بلورة رأيه حول هذه المسألة فيقول «من هذا العرض لبعض الآراء والنظريات التي قيلت بصدد أصل الفولانيين، يتضح مدى التضارب فيما بينها إلا أن أغلب علماء الأجناس يرجّحون الأصول الحامية وربما كانت من البربر، وأن أوائلهم قد جاءوا من الشرق إلى الغرب، تحت ضغط موجات من الهجرات البشرية ، وأنهم دخلوا بلاد السودان – بالمعنى الجغرافي – وواصلوا في تجوالهم إلى ساحل المحيط الأطلسي، وأنهم اختلطوا بالدماء العربية في مطلع العصر المسيحي، حين جاءت موجة منهم من برقة إلى تنبكت وماسنة في حوض النيجر، وأنه في القرن التاسع الميلادي توجه أغلبهم إلى فوتا في حوض السنغال حيث استقروا ، وأنه في القرن الحادي عشر للميلاد هاجر فريق منهم من أعالي السنغال واتجه شرقاً نحو حوض النيل وانتشروا في هذه المساحات الشاسعة، وأدى اختلاطهم العميق بالزنوج إلى فقدهم صفاتهم الأصلية ...»

هاأنت ترى أن الباحث استعرض كل الآراء التي قيلت في أصل الفولة أو الفولانيين ، وناقشها رأياً رأياً ، ومال في النهاية – بالدليل – إلى ترجيح أحدها .

ربط الوقائع بعضها بالبعض الآخر، أو إيجاد علاقات بينها :

يذكر لانجلوا وسينوبوس في كتابهما : المدخل إلى الدراسات التاريخية[1] . «ينقسم العمل

(١) ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي مع كتابين لغيرين (هما كتاب برلي ماس : نقد النص ، وأماتريل كنت : التاريخ العلم) تحت عنوان شامل هو النقد التاريخي . القاهرة، دار النهضة العربية ، ١٩٦٣ .

في كل علم إلى نوعين من سلاسل العمليات هما : مشاهدة الوقائع الجزئية بعزلها عن المجموع الذي تنتسب إليه، ثم المقارنة بينها على نحو يسمح بفهم العلاقات القائمة بينها. والإنسان لايستطيع أن يدرك بطريق مباشر إلا الوقائع التي على قياس حواسه..» ثم يبدأ لانجلوا وسينوبوس في توضيح الفرق بين عمل الأثاريين وناشري الوثائق من جهة ، وعمل المؤرخ من جهة أخرى ، فيذكران أن الحقائق المفردة من عمل ناشري الوثائق ومؤلفي الرسائل المفردة ، أما البحث عن العلاقات فمن شأن التاريخ الذي يتخذ صورة المؤلفات العامة» .

«ولما كان التاريخ يعمل في وقائع أصعب في الرصد وبوسائل أشد نقصاً من أي علم آخر، وكان إلى جانب هذا - أي علم التاريخ - عارياً عن كل أداة للملاحظة ، مقصوراً على قوى العقل الإنساني وهو بطبعه غامض مضطرب متسرع ، فإن المنهج يقتضي مقاومة السير التلقائي والعمل في إتجاه معاكس لإتجاه الطبيعة، وكل هذا بدقة وحذر»[1]

فالتاريخ كعلم يرفض تماماً أن نورد الأحداث هكذا معلقة في الهواء لايسندها شيء ولايبررها شيء، ولاينتج عنها شيء ، وإنما يريدها التاريخ معلّلة مقننة يعتمد أحدها على الاخر

البحث عن الدوافع أو الذرائع :

يقول الدكتور عبدالله صالح العثيمين[2] في معرض بحث له مَوْسوم باسم «موقف سليمان بن سحيم من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»[3] : «من المعروف لدى المطلعين على سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه جهر بدعوته الإصلاحية أول الأمر في البصرة وحين عاد من أسفاره خارج نجد التحق بأسرته التي كانت موجودة في بلدة حريملاء منذ سنة ١١٣٩هـ (١٧٢٦م) وبعد استقراره فيها أخذ ينكر ماكان يراه مخالفاً للحق ، خاصة مايتعلق بالتوحيد والشرك .. ومهما يكن من أمر فإنه من الواضح أن فريقاً ممن عارضوا الشيخ محمد في بداية دعوته أصبحوا من مؤيديه فيما بعد، كما أن أناساً ممن صدقوه أول الأمر وقفوا ضده بعد فترة معينة . وما من

---

(١) نفس المرجع . ص : ج .

(٢) أستاذ التاريخ الحديث في جامعة الملك سعود وهو اختصاصي في تاريخ الدعوة الوهابية والتاريخ السعودي الحديث عامة .

(٣) نشر في مجلة كلية الآداب ١٩٧٧/١٩٧٨ ص ١ - ٢١ .

شك أن هناك أسباباً متعددة لتغير مواقف هؤلاء وأولئك ، ومن تلك الأسباب الاقتناع الشخصي وانتقال دعوة الشيخ من مرحلة إلى أخرى ، سواء في تناولها أموراً غير التي كانت تتناولها في البداية أم في دخولها مرحلة التنفيذ بتطبيق ماكانت تنادي به .. ومن بين الذين تغير موقفهم من تصديق بالدعوة المذكورة إلى محاربة لها : سليمان بن محمد بن سحيم أحد علماء الرياض .. ويعطي الشيخ (ابن عبد الوهاب) سببين لتغير موقف سليمان .. أحدهما ماعبر عنه بالبغي وفسره بأن العامة ستقول لسليمان وأمثاله لم لم تنهونا عما كنا نفعل من محرّمات قبل دعوة محمد بن عبد الوهاب؟ فاعتقدوا أن يأتيهم في هذا غضاضة وأن يكون فيه شرف بغيرهم. ويمكن أن يقال عن هذا الموقف إن المعارضين خافوا أن يفقدوا شيئاً من مكانتهم الاجتماعية لدى الناس ، لأن هؤلاء سيتساطون عن علمهم وإخلاصهم ، فإذا كانوا لم يعرفوا حكم هذه الأمور قبل الشيخ محمد فعلمهم قليل، وإذا كانوا قد علموا الحكم وأخفوه فهم غير مخلصين. أما السبب الثاني لتغير موقف سليمان في نظر الشيخ محمد فهو إنكار الأخير على الأول وأمثاله أكل السُحت والرشوة، وبعد هذا التحليل للدوافع أو الذرائع أو البواعث التي حدت بالشيخ سليمان لموقفه المعارض لابن عبد الوهاب ، ينكر كاتب البحث (الدكتور العثيمين) أنه «من الممكن قبول السبب الثاني الدافع الإقتصادي أو تحريم أموال كانوا يتقاضونها» لأن هذا الموضوع كان بطريقة ما من بين النقاط التي أوردها سليمان بن سحيم في رسالته الموجهة إلى العلماء خارج نجد ليقفوا ضد الدعوة ..» .

باستعراضنا للنص السابق نلاحظ أن المؤلف يخصص جانباً كبيراً من بحثه عن ابن سحيم لدراسة أو استكشاف دوافعه في قلب ظهر المجن لابن عبد الوهاب ودعوته بعد أن كان نصيراً مؤيداً لها، وعرض المؤلف لتفسير ذلك عدة دوافع :

١ - الدفاع عن المكانة الاجتماعية أو الوضع الاجتماعي لابن سحيم، لكن المؤلف عاد فاستبعد هذا الدافع لأن ابن سحيم كان مؤيداً للدعوة من البداية ، ولو كان يعرف أنها ستؤثر على وضعه الاجتماعي أو تقلل من قيمته بين الناس لرفضها بادئ ذي بدء.

٢ - الدافع الاقتصادي ، ذلك أن بعض معارضي الشيخ محمد ، ومنهم ابن سحيم كانوا يأخذون أموالاً من المتخاصمين مقابل الحكم لهم ، أو كانوا يأكلون السحت والرشوة على حد تعبير ابن عبد الوهاب ولما كانت دعوة الشيخ محمد ستحرمهم من هذا المصدر المالي أو من هذا

الرزق (الحرام) لذا فقد وقفوا ضدها مناوئين لها .

وحقيقة الأمر أن الدوافع الاقتصادية من أهم الدوافع في تفسير حركة التاريخ ، وإن كانت ليست هي الدوافع الوحيدة، كما أنه في كثير من الأحيان تكون هناك دوافع أخرى للتحرك أو التصرف الإنساني غير الدافع الإقتصادي .

ثم نعود فنقتطف فقرات أخرى من بحث الدكتور العثيمين : «... غير أن محاولات هؤلاء العلماء (المناوئين لدعوة ابن عبد الوهاب) من خارج نجد لإيقاف دعوة الشيخ محمد بالإقناع والدليل فشلت كما فشلت المحاولات داخل نجد في هذا الصدد . ومن هنا اتجه العلماء المعارضون بصفة عامة إلى الزعماء السياسيين ليضعوا ثقلهم في ميدان المعركة . وكانت سياستهم لاجتذاب هؤلاء الزعماء إلى جانبهم ذات شقين : الأول - زعموا أن محمد بن عبد الوهاب خارج عن الصراط المستقيم وأنه يخشى منه على عقائد العامة . وبصفة هؤلاء الزعماء حكاماً مسلمين فإن عليهم أن يقوّموا المعوج أو يقضوا عليه. محافظة على عقائد رعاياهم ، والثاني - ادعوا أن من بين الأهداف التي يقصدها محمد بن عبد الوهاب إثارة العامة على الخاصة والأمراء .. ورجل من بين أهدافه هذا الأمر سوف يفسد الأوضاع ، وخطره كبير على هؤلاء الزعماء إن لم يتداركوا الموقف ويضعوا حداً لحركته.

وكان من نتائج هذه الدعاية أن كسب العلماء المعارضون للشيخ، سليمان بن محمد رئيس بني خالد وحاكم الأحساء إلى جانبهم .. ونحن هنا إزاء باعثين أو دافعين آخرين لتفسير سلوك الأشخاص أو تفسير حركة التاريخ :

١ - الدافع السياسي : أو رغبة السلطان أو الرئيس في استقرار الأوضاع وهدوء العامة حتى ولو كان هذا على حساب المعتقد الصحيح .

٢ - الدافع النفسي : وذلك أن بعض الشيوخ أو العلماء المناوئين لابن عبد الوهاب، كان منهم يقيناً من يعلم صدق قوله وإنما هو الحقد والغيرة أو الحسد، فبعضهم كان في صدره شيء من مكانة الشيخ وماوصل إليه من ذيوع وانتشار .. إنها النفس البشرية الزاخرة بالمتناقضات والدوافع الغريبة المتباينة .

نحن إذن أمام بحث يتخذ من دراسة الدوافع أو البواعث الشخصية موضوعاً محورياً .

ويلاحظ أن البحث في مجال البواعث الشخصية من أصعب مجالات البحث، لأن البواعث الشخصية غالباً ماتكون خبئاً في الصدور والقلوب ولايمكن دراستها وتحديدها على سبيل اليقين النسبي إلا من خلال مايظهر من سلوك أو يتبدي من فعل أو يفلت من لسان أو بمقارنة ذلك كله وهذا أفضل .

استنتاج الحقيقة التاريخية :

حضارة قامت على ضفاف الأنهار، فمعنى كونها قامت على ضفاف النهر، أنها اعتمدت على هذا النهر اعتماداً أساسياً بالصيد منه ، والشرب من مائه ، والزراعة على شاطئيه . وحتى ولو لم يكن لدى وثائق .. أن ذلك يدخل في باب الاستنتاج اليقيني.

أثبتت البحوث الحفرافية أو التاريخية أن جدباً وقع ، أو سداً انقض ، أو وباء حل .. ووجدنا بعد ذلك هجرة بشرية .. إذن يمكننا القول أن هذا الجدب الشديد أو السد المنقض أو الوباء الحال، سبب في هجرة الناس وانفضاض العمران من تلك البقعة . وهذا الاستنتاج يقيني رغم أنني لاأملك وثيقة أو نقشاً يذكر صراحة سبب هجرة الناس ونزوحهم .

ومن أمثلة الاستنتاج في البحث التاريخي مانذكر في كتاب شاخت الشهير عن تراث الإسلام ، فلنأخذ منه قبساً :

« .. والعنصر الثاني في التراث الزراعي الإسلامي هو أساليب الري وهنا نجد أن المعلومات تعاني من النواقص نفسها ، ويضاف إليها أن قدرة المشتغلين بعلم الزراعة على المساعدة أقل بكثير في هذا المجال . إلا أنه من الواضح أن المسلمين لم يكونوا مسئولين عن إدخال قناة الري والنواعير التي تعتمد على قوة تيار الماء أو الطريقة البدائية لرفع الماء والمعروفة باسمها المصري (الشادوف) . ذلك لأن الشواهد الأثرية أو الأدبية تدل على أن هذه الوسائل كلها كانت موجودة في أسبانيا ماقبل الإسلام . وحالة الناعورة التي تحركها الحيوانات هي الحالة الوحيدة التي لايرد ذكرها في أية شواهد سابقة، ومن ثم فإن السكوت عنها يقدم مبرراً للقول بأن المسلمين أدخلوا أسلوباً خاصاً للري ...»[1] .

---

(١) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام . ترجمة محمد زهير السمهوري . الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٧٨ (١٣٩٨هـ) ص٣٠٧ .

التوثيق أو كتابة الحواشي:

تهدف الحواشي Footnotes إلى تحديد الموضع الذي استقي منه الباحث معلوماته بدقة بمعني تحديد الكتاب باسم مؤلفه وعنوانه والصفحة أو الصفحات التي وردت فيها المعلومة أو المعلومات التي اقتبسها الباحث بنصها أو أعاد صياغتها بأسلوبه .

وطريقة كتابة الحواشي تختلف بعض الشيء من باحث إلى آخر ولكنها اختلافات يسيرة على أية حال ، وإن كان يتعين على الطالب أن يستخدم الطريقة المستخدمة في معهده أو جامعته أو التي يتبناها أستاذه المشرف .

وعادة ماتوضع الحواشي في نهاية الصفحة إلى الأسفل ، وبعض الباحثين يجمع كل حواشي البحث في النهاية أو في الصفحات الأخيرة من البحث .

وبعض الدوريات العلمية تشترط على المؤلفين ألا يستخدموا عبارة (نفس المرجع) أو (المرجع السابق) كما أن بعض الدوريات العلمية تحتم على المؤلف أن يضع المصدر مختصراً بين ثنايا البحث أي أنها تلغي الحواشي تقريباً وهي طريقة سيئة لأنها تعوق القارئ عن الاستمرار في البحث كما تضع أمامه حوائل تعوق استمرار النص .

ولكن إذا أراد الباحث أن ينشر بحثه في إحدى هذه الدوريات فإن عليه أن يتبع نظامها

لكن الطريقة الأكثر استخداماً خاصة في الرسائل الجامعية هي وضع الحواشي في أسفل الصفحات يفصلها عن المتن خط (على نحو ماترى في بعض صفحات هذا الكتاب) وتستخدم الأرقام في ترقيم حواشي الصفحة الواحدة (١) ، (٢) وهكذا وبعض الباحثين يرتبون الحواشي رقمياً في الفصل الواحد على نحو متتابع بحيث تكون الحواشي في الصفحة الأولي (١) ، (٢) مثلاً وفي الصفحة الثانية (٣) ، (٤) ، وفي الصفحة الثالثة (٥) ، (٦) وهكذا إلى أن ينتهي الفصل وبعض الباحثين يستمرون في الترقيم إلى نهاية البحث، لكن عيب هذه الطريقة أن الأرقام تصل في النهاية إلى أعداد كبيرة (٥٢٠) ، (٥٢١) وهكذا يعوفي بعض الأحيان يستخدم الباحث الرموز في الحواشي كالنجمة (*) والنجمتين (**) والثلاثة .. وهكذا . ويرتبط الرقم أو الرمز في المتن ، بالرمز أو الرقم في الحواشي.

والواقع أن الطباعين والكاتبين على الآلة الكاتبة كثيراً مايخطئون في نقل الحواشي ، لذلك

فإن الحواشي من أكثر المسائل التي يجب على الباحث أن يراجعها مرة ومرة بعد الطباعة حتى يتأكد من صحتها ، وأنها في موضعها .

والعناصر التي يجب أن تكتب في الحاشية عند الإشارة للمرجع أو الكتاب للمرة الأولى هي بالترتيب الآتي :

١ - اسم المؤلف .

٢ - عنوان المطبوع .

٣ - مكان النشر .

٤ - الناشر .

٥ - تاريخ النشر .

٦ - الصفحة أو الصفحات التي استقي منها الباحث المعلومة .

٧ - السلسلة إن وجدت .

وفيما يلي بعض الأمثلة :

مقبل ، فهمي توفيق ، الفاطميون والصليبيون ، بيروت ، الدار الجامعية، ١٩٨٠ ص ص ٢٠ - ٢٥ .

نوار ، عبد العزيز سليمان وعبد المجيد نعنعي، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث، بيروت ، دار النهضة العربية، ١٩٧٣ . ص ١٥ .

ويختلف الباحثون في علامات الترقيم فبعضهم كما هو مذكور في الأمثلة أعلاه يضع بعد اسم المؤلف فاصلة، وبعضهم يضع نقطتين رأسيتين (:) كما يختلفون في العناصر المكتوبة في الحاشية فبعض الباحثين يكتفي باسم المؤلف وعنوان الكتاب والصفحة ، على أساس أن البيانات الكاملة مكتوبة في آخر البحث، أي يجعلون الحاشية كالتالي :

- مقبل ، فهمي توفيق : الفاطميون والصليبيون . ص ٢٠ - ٢٥ .

- نوار ، عبد العزيز سليمان وعبد المجيد نعنعي . تاريخ الولايات المتحدة الحديث. ص ١٥

ويختلف الباحثون أيضاً في طريقة كتابة الاسم العربي فبعضهم يكتبه كما هو دون قلبه أي دون البدء باسم العائلة أو الإسم الأخير أي على النحو التالي :

فهمي توفيق مقبل ... الخ .

عبد العزيز سليمان نوار .... الخ .

وبعض الباحثين يعامل الإسم العربي معاملة الإسم الأفرنجي أي يكتبون أولاً اسم العائلة أو الإسم الأخير ثم الإسم الأول . وهذا الخلاف لاوجود له في الإسم الأجنبي الذي يبدأ فيه بكتابة اسم العائلة .

والواقع أن المهتمين بالأسماء العربية وضعوا قاعدة لذلك فجعلوا الأسماء الملقَّبة (ذات اللقب) أو الأسماء السابقة على سنة ١٨٠٠ تبدأ باسم العائلة أو الإسم الأخير، أما الأسماء الحالية أو اللاحقة على سنة ١٨٠٠ فتكتب عادية فطه حسين مثلاً يكتب كما هو ولايقلب بينما محمد بن اسماعيل البخاري يكتب هكذا (البخاري ، محمد بن اسماعيل) .

وكل هذه خلافات شكلية فالعبرة فيها هو النظام أو الطريقة التي يتبعها الأستاذ المشرف على الرسالة أو النظام المعمول به في جامعة الطالب أو الباحث .

وعندما يذكر نفس المرجع للمرة الثانية فإن الباحث يشير إليه بعبارة (نفس المرجع) أو بالإنجليزية(Ibid) وهي مشتقة من اللاتينية (Ibidem) والتي تعني نفس المكان The same place، ذلك إذا لم يفصل بين الحاشية الأولى والثانية مرجع مغاير ، أما إن فصل فنشير بعبارة (المرجع السابق) أو بالإنجليزية OP. Cit وهي مشتقة من اللاتينية Opero Citato والتي تعني المرجع المذكور . وفي كل الأحوال يعاد ذكر اسم المؤلف ، وبعض الباحثين لايعيد ذكر اسم المؤلف في حالة الإشارة (نفس المرجع Ibid) ولتوضيح ذلك نذكر الأمثلة الآتية :

١ - باركر ، أرنست : الحروب الصليبية . ص ١٥ .

٢ - مقبل، فهمي توفيق : الفاطميون والصليبيون . ص ١٠ .

٣ - باركر، أرنست : المرجع السابق ص ١٥ .

هنا دخل مرجع (مقبل) بين حاشيتين موضوعهما (أرنست) فكانت الحاشية (المرجع السابق)، ثم لاحظ المثال التالي :

١ – باركر ، أرنست : الحروب الصليبية ص ١٥ .

٢ – باركر – أرنست : نفس المرجع ص ١٠ .

أو

١ – باركر ، أرنست : الحروب الصليبية . ص ١٥ .

٢ – نفس المرجع : ص ١٠ .

وإذا كانت المراجع أجنبية حلّت (Ibid) محل نفس المرجع و (Op. Cit) محل المرجع السابق .

وإذا كانت الحاشية تشير لمقال في دائرة معارف فإن الإشارة تكون هكذا :

"Plato" Encyclopedia Americana. XXI (1985) pp. 786-788.

وبالعربية :

«تاريخ» دائرة المعارف الإسلامية . جـ ١ (١٩٥٠) ص ٤١ – ٥٩ أي يكتب عنوان المقال واسم الدائرة فالجزء فسنة النشر فالصفحات وإذا كانت الحاشية تشير لمقال في مجلة فإن الإشارة تكون على هذا النحو .

Hayes, William C.: Daily life in ancient Egypt. The National Geogrophic Magaziue, LXXX (October, 1941) 419-515.

ومثال بالعربية :

العثيمين، عبدالله صالح : موقف سليمان بن سحيم من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، (١٩٧٧ – ١٩٧٨) ص ١ – ٢١ .

أما الإشارة في الهوامش للوثائق والمسكوكات والآثار فقد سبق أن أشرنا إليها في الباب الأول نظرا لطبيعتها الخاصة فلْيُرجع إليها في مكانها من هذا الكتاب .

قائمة المراجع (الببليوجرافيا) :

معظم الباحثين الذين يقدمون رسائل للماجستير أو الدكتوراه يتناولون في المقدمة أو التمهيد تقويماً أو تعريفاً بأهم مصادرهم ومراجعهم وماعانوه من مشقة في الحصول على بعضها، مع تركيز على الكتب أو المصادر التي استفادوا منها أكثر من غيرها، أو المراجع التي اكتشفوا

فيها أخطاء فادحة . وهذه الدراسة النقدية للمراجع لاتُغْني عن إثبات المراجع والمصادر بالتفصيل في نهاية البحث .

وبعض الجامعات تحتم على الطالب كتابة ملخص واف لكل كتاب أو مرجع رجع إليه الطالب . ويكتب هذا الملخص عقب كتابة بيانات المرجع أو المصدر في نهاية البحث . ومن ذلك معهد الدراسات الأفريقية التابعة لجامعة القاهرة، حتى سنة ١٩٦٥ ثم عدل المعهد عن هذه الطريقة .

ويتعمد بعض الباحثين أن يكتبوا مراجع لم يقرءوها ولم يطلعوا عليها في قائمة مراجعهم حتى تبدو هذه القائمة طويلة غاصة ، وليوهموا القارئ بأنهم باحثون مكثرون من المراجع ، والواقع أن أخطر مايمكن أن يتهم به الباحث هو الطعن في أمانته العلمية، لذلك على الباحث ألا يشير إلا لمرجع أو مصدر عاينه فعلاً وقرأه حقاً وصدقاً .

وبعض الباحثين ينقلون من مرجع أشار له مرجع آخر ، بمعني أن كاتباً أو باحثاً (وليكن الدكتور حسن عثمان مثلاً) أشار في كتابه (منهج البحث التاريخي) إلى أن Fling في كتابه The writing of history أشار إلى التفرقة بين التفسير التاريخي للأحداث والتفسير العلمي . فيأتي الباحث وينقل الفكرة ويزعم أنه قرأها في كتاب Fling ، بينما هو عرفها عن طريق الدكتور حسن عثمان الذي نقلها بدوره عن Fling .

ولكن إذا رجع الباحث لكتاب Fling بالفعل وقرأ النص بنفسه ، وقتها لابأس من الإشارة مباشرة إلى Fling .

بعد هذه الملاحظات العامة والهامة نشرع في تبيان كيفية صياغة قائمة المراجع (البيليوجرافيا) في اخر البحث .

يبدأ الباحث بكتابة الوثائق غير المنشورة أولاً لما لها من أهمية كبيرة . ثم الوثائق المنشورة ثم المخطوطات ثم المراجع المطبوعة باللغة العربية ثم المراجع المطبوعة باللغات الأجنبية وإن تعددت اللغات بشكل واضح فلابأس من أن يفصلها : مراجع بالألمانية ، مراجع بالفرنسية ، مراجع بالأسبانية .... وهكذا ويعطي هذه الفئات أرقاماً كتابية على النحو التالي :

أولاً : الوثائق غير المنشورة ..

.....

.....

ثانياً : الوثائق المنشورة :

.....

.....

ثالثاً : المخطوطات :

.....

..... وهكذا .

وترتب المراجع فيما بينها ترتيباً هجائياً وفقاً لاسم المؤلف في حالة وجوده أو ترتيباً تاريخياً إن كانت وثائق .

والبيانات التي تكتب بالنسبة لكل مرجع هي :

١ – اسم المؤلف .

٢ – عنوان الكتاب كما هو مذكور على صفحة العنوان.

٣ – الطبعة .

٤ – عدد المجلدات .

٥ – مكان النشر .

٦ – الناشر .

٧ – سنة النشر .

٨ – عدد الصفحات .

وهاك مثال :

Bieler : Laidwig : Ireland, New york, Oxford, University Press, 1963.

مقبل ، فهمي توفيق ، الفاطميون والصليبيون . بيروت ، الدار الجامعية ، ١٩٨٠

أما إذا كان للكتاب مؤلفان أو أكثر فتكون الصياغة كالتالي :

شكري ، محمد فؤاد ومحمد أنيس : أوروبا في العصور الحديثة ، القاهرة ، الأنجلو المصرية، ١٩٦١ . ط ٢ .

وفي حالة وجود محرر للكتاب تكون الإشارة كالتالي :

Lewis, I.M. (ed.) Islam in Tropical Africa. Oxford, Oxford University Press, 1969.

وإذا كان الكتاب عربياً كُتب بعد اسم المؤلف بين قوسين (محرر) .

وفي حالة الكتاب المحقق تكون الإشارة كالتالي :

ابن أبي دينار، أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، تحقيق محمد شمام . تونس ، المكتبة العتيقة ، ١٩٧٠ .

وفي حالة الكتاب المترجم تكون الإشارة كالتالي :

جيتس ، جين كي : دليل القارئ والباحث لاستخدام الكتب والمكتبات . ترجمة عبد الرحمن عبدالله الشيخ، الكويت ، دار البحوث العلمية، ١٩٧٠ .

أما الإشارة لمقال في مجلة أو دائرة معارف فقد سبق أن ضربنا عليها مثالاً

بقيت مسألة أخرى وهي أن بعض الباحثين لايكتبون قائمة موحدة بمراجع ومصادر أبحاثهم وإنما يكتبون مراجع ومصادر كل فصل على حده، على هذا النحو : مراجع ومصادر الفصل الأول

مراجع ومصادر الفصل الثاني .. وهكذا .

ولكن هذه الطريقة تؤدي إلى تضخم قائمة المراجع لتكرار ذكر المرجع أو المصدر الواحد في أكثر من فصل . ومع هذا فعلي الطالب أو الباحث أن يلتزم بالطريقة المعمول بها في جامعته وأن ينفذ في مثل هذه الأمور مايطلبه منه المشرف على رسالته .

مسألة أخرى، وهي أن العرف جرى على حذف الألقاب العلمية من الحواشي أو في قائمة المراجع ، فعادة لانقول الدكتور عبد الرحمن الشيخ وإنما مباشرة عبد الرحمن الشيخ، أو (الشيخ، عبد الرحمن) لكن بعض الباحثين يضعون اللقب العلمي في اخر الاسم بين قوسين أو بعد فاصلة ، وعلى هذا النحو :

عبد الرحمن الشيخ (الدكتور)

أو الشيخ، عبد الرحمن (دكتور)

أو الشيخ، عبد الرحمن، الدكتور.

وهذه أيضا مسائل يجب أن يتبع الطالب أو الباحث فيها النظام المعمول به في جامعته أو توجيهات المشرف على الرسالة.

وأخيرا فان ضبط الحواشي، وتنسيق قائمة المراجع والمصادر وخصوبتها كثيرا ما تعطي انطباعا أوليا على جدية البحث وعمقه.

نشأة علم التاريخ عند المسلمين، وأثر ظروف النشأة على المنهج والصياغة :

١ - أشار القرآن الكريم في كثير من آياته لأحوال الأمم السابقة (آل فرعون، عاد وثمود، .... الخ) كما أشار إلى نبوات سابقة (موسى، وعيسى .... الخ) مما حدا بالمسلمين إلى الرجوع إلى من سبقوهم بالكتاب من يهود ومسيحيين ليلقنوا عنهم، وكان لهذا بعض الفائدة كما كان فرصة لأعداء الاسلام للدس على المسلمين.

* * *

سؤال وبحث مقترح : كتب بعض الباحثين عن الاسرائيليات قاصدين بها ما دس على الكتابات الاسلامية من فكر يهودي.

ابحث في المكتبة عن مراجع لهذا الموضوع واكتب فيه مبحثا لا يتعدى الصفحات الثلاث.

* * *

٢ - كان المسلمون يتتبعون كل ما يصدر عن الرسول (ص) من قول أو فعل وكان هذا يسيرا ما دام المصطفى عليه السلام يعيش بين ظهرانيهم، ولما مات عليه السلام خشي بعض المسلمين من تدوين حديث الرسول (ص) مخافة اختلاط القرآن بالحديث وبعد قيام عثمان رضي الله عنه

(١) اعتمدنا اعتماداً أساسياً على ماترجمناه من جيتس، جين كي : دليل القارئ والباحث. الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٩٧٦ .

بجمع القرآن في إمام، لم تعد هذه الخشية قائمة، فشرع المسلمون في تدوين حديث الرسول (ص) متخذين في ذلك منهجا دقيقا غاية الدقة وكان هذا المنهج هو أساس منهج البحث التاريخي عند المسلمين. لقد كان جامع الحديث يتنقل من بلد إلى بلد متتبعا رواة الحديث، وكان لا يأخذ من أي شخص، وإنما يسأل عنه (يجرحه ويعدله) أي يعلم هل هو شخص موثوق به (عدل) أم هو غير ذلك (مجرح) ونشأ عن ذلك علم الجرح والتعديل.

لاحظ أن تقويم راوي الحديث (أي تجريحه أو تعديله) هو نفس ما نقوم به الآن بالنسبة لنقد المصدر التاريخي أو وزنه لمعرفة قيمته. ولم يكن جامعو الحديث يذكرون حديثا للرسول (ص) دون نسبته لراويه (لا يختلف هذا عن الحواشي أي نسبة المادة العلمية في نص البحث لمرجع أو وثيقة أو شخص) وقد عرفت طريقة رجال الحديث هذه باسم (العنعنة) لأنهم يقولون عن فلان عن فلان أن رسول الله (ص) قال .

* * *

سؤال وبحث مقترح : اكتب بحثا موجزا عن تدوين حديث الرسول عليه السلام : متى بدأ؟ لماذا تأخر؟ أساليب التثبت؟ موقف الجامعين الثقاة من الأحاديث الموضوعة أي المكذوبة؟ ما هي دوافع أعداء الإسلام في وضع الأحاديث أي الكذب على رسول الله (ص) ؟ فكرة موجزة عن جامعي الأحاديث المشاهير : البخاري ومسلم وابن ماجة والنسائي ... الخ).

* * *

٣ – ولما فتح المسلمون بلداننا كان لأهلها حضارة وتاريخ مكتوب جعل أهل هذه البلاد المفتوحة يذيعون تاريخهم بين العرب إما لعصبية وإما تقريرا لواقع مما حدا بالمسلمين إلى مزيد من العناية بالتاريخ، واستخدموا في تحقيق الخبر نفس أسلوب المحدثين ومن هنا لابد أن نعيد التأكيد أن رجال الحديث هم واضعو أسس المنهج التاريخي الدقيق فيما يتعلق بضبط الخبر والتحقيق منه وإسناده لراويه.

لذلك ليس بدعاً أن تكون أول الكتابات التاريخية الإسلامية قام عليها محدثون مثل عروة بن الزبير المتوفي سنة ٩٤ هـ (٧١٢م) الذي ألف كتابا في المغازي لم يصل إلينا ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري المتوفي ١٢٣ هـ (٧٤١)م) ولم يصل كتابه أيضا إلينا، أما الكتاب الذي بين

أيدينا والذي يمثل هذه المرحلة الباكرة للكتابات التاريخية عند المسلمين فهو سيرة ابن هشام.

تكليف : اكتب عرضا مفصلا لكتاب سيرة ابن هشام مبينا محتويات الكتاب وهل أرخ لعصر الرسول عليه السلام فقط أم تناول الجاهلية أيضا؟ وهل ذكر تاريخ النبوة على إطلاقها؟ وما مدي التزامه بمنهج المحدثين. لاحظ أن بعض المكتبات تضع سيرة ابن هشام في المكان المخصص للدين الإسلامي (سيرة الرسول) وبعضها الآخر تضعه في المكان المخصص للتاريخ (عصر النبوة) . اكتب نبذة موجزة عن المؤلف.

٤ – وفي القرن الثاني الهجري ظهر بعض المؤرخين كتبوا في مجالات بعيدة عن السيرة النبوية ومن هؤلاء محمد بن سائب الكلبي المتوفي سنة ١٤٦ هـ/ الذي راح يجمع الروايات القبلية عن الأنساب، وألف ابنه هشام بن محمد بن سائب الكلبي كتابا مشهورا هو جمهرة الأنساب. وفي القرن الثالث تبلور علم التاريخ تماما ويهمنا أن نتوقف عند كتابين لعلمين من أعلام القرن الثالث الهجري وهما :

(أ) فتوح البلدان للبلاذري (توفي سنة ٢٧٩ هـ)

(ب) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري (توفي ٣١٠) هـ

تكليف : اطلع في المكتبة على تاريخ الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ) (٨٣٩ – ٩٢٣ م) تاريخ الأمم والملوك. بيروت، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر ١٩٦٨. ١٣ ج في ٦ مج .

ولاحظ أن محمد بن عبد الملك الهمزاني (٤٦٣ – ٥٢١ هـ) (٨٣٩ – ٩٢٣ م) قد وضع كتابا أسماه : تكملة تاريخ الطبري . حققه ألبرت يوسف كنعان بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦١ .

ويصف الدارسون ابن جرير الطبري بأنه «شيخ مدرسة التاريخ بالمنقول التي يمتد تراثها خلال القرون الثلاثة السابقة لأنه القمة العليا لهذا المنهج في التأليف عند المسلمين بصفة عامة»[١] .

ويذكر الدكتور علي ابراهيم حسن[٢] أن كتاب تاريخ الأمم والملوك «كما تركه مؤلفه غير موجود إذ أنه للأسف سرق، ونقل في عدة كتب أخرى. ولأهميته ساح بعض العلماء الهولنديين

(١) الشرقاوي ، عفت محمد : أدب التاريخ عند العرب . بيروت ، دار العودة ، ١٩٧٠. ص ٣٦١ .
(٢) في كتابه : استخدام المصادر وطرق البحث. القاهرة ، النهضة المصرية. ١٩٨٠. ط ٢ ص ١٣٢.

في الممالك الإسلامية واستخرجوا من المؤلفات الملخصة المسروقة التي نقلت عنه نسخة أقرب ما تكون إلى الحقيقة» .

والتاريخ على يد الطبري ليس إلا تحر للدقة في نقل الخبر عن طريق تمحيص الأسانيد وفحصها وضبط للروايات ولم يتحول التاريخ على يديه إلى مجال للتحليل والنظر العقلي والاستنتاج .

ومع أن الطبري في تاريخه قد انفلت من مجال السيرة ورواية الحديث إلا أنه استخدم نفس منهج علماء الحديث في (العنعنة) أي نقل الخبر عن فلان عن فلان عن فلان حتى يصل إلى مصدر الخبر الأصلي إلا أنه اختلف عنهم في أمر هام فلم يقم الرجل بتجريح من يروي عنهم أو تعديلهم فقد كان يعتقد أن رواية الوقائع والأحداث التاريخية ليست على نفس قدر وأهمية رواية أحاديث المصطفي عليه السلام.

ومن خلال كتاب الطبري، ومن خلال آراء الدارسين أيضا يمكننا أن نشير إلى بعض قضايا منهج البحث التاريخي، وعلى الطالب أن يلاحظ أن ما نثيره من قضايا منهجية لها صفة الدوام بمعنى أن المؤرخين حتى اليوم يأخذون بها ويترسمون خطاها :

(أ) كان الطبري يعتد برواية الراوي إذا كان معاصراً للأحداث وشاهدا عليها . وقد ذكر أحد المستشرقين أن «الطبري قام في التاريخ بعمل مشابه لما قام به البخاري ومسلم في الحديث .... وأتبع ذلك[1] عملا شاقا وخطرا إلى حد ما وهو الاستمرار في التدوين إلى عصره»يم

(ب) قام الطبري في بعض الحالات بالترجيح بين الروايات. ونحن في التاريخ نتعرض دائما لروايات متباينة ويتحتم على الدارس أن يخضع هذه الروايات لميزان العقل والمنطق والتحليل ليخلص أي الروايتين أدق . وإخضاع الروايات المتباينة للتحليل للخلوص بصحة رواية بعينها هو ما لم يفعله الطبري وإنما كان الطبري يرجح إحدي الروايتين على الأخرى بناء على قوة السند أو وثوقه في الراوي . ورغم أن بعض الباحثين يوجهون نقدا عنيفا لهذه الطريقة في الترجيح بين الروايات إلا أن المؤرخين المحدثين يستخدمونها في كثير من الأحيان فاذا تعارض نص تاريخي مع نص تاريخي آخر فاننا نرجح النص الوارد في مرجع ألفه معاصر للأحداث. ونحن

(١) مارجليوث : دراسات عن المؤرخين العرب. ترجمة حسين ناصر . بيروت: دار العودة ، د. ت . ص ١٢٥

نرجح ما أوردته الوثائق التاريخية وما أظهرته الآثار على ما ذكرته الكتب الروائية Narrative Sources وهذا في جوهره لا يختلف عن طريقة القدماء. على أنه مما ينصح به أن يأخذ الباحث بالطريقتين معا.

٥ – ثم انتقل التاريخ نقلة أخرى تميزت بمحاولة تفسير الظواهر التاريخية بالعوامل الجغرافية أو الدينية أو الحضارية عامة، أما من ناحية التنقيب عن الحقيقة التاريخية فقد ساحوا وارتحلوا بحثا عن الحقيقة «فليس من رأي كمن سمع» وعمدوا إلى مشاهدة الآثار التي تركتها الأمم الخالية وتسلحوا بمعرفة لغات الأقوام الذين يؤرخون لهم. ولم يكن التاريخ عند هؤلاء المؤرخين في هذه المرحلة تاريخيا سياسيا يعني بالدول والملوك فحسب وإنما أرخوا للظواهر الاجتماعية والحياة الثقافية .. وتعمقوا في معرفة أسباب الحوادث ونتائجها.

ومن المؤرخين الذين يمثلون هذه المرحلة خير تمثيل المسعودي والمقدسي وابن مسكويه والبيروني.

(أ) المسعودي (ت ٣٤٦ هـ – ٩٥٦ م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر. القاهرة، ١٨٨٢ م (١٣٠٣ هـ) كتب التنبيه والإشراف. القاهرة، (١٣٥٧ هـ).

(ب) المقدسي، محمد (ت ٣٨٧ هـ – ٩٩٧ م) أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم. ليدن، ١٩٠٦ م (١٣٢٤ هـ).

(جـ) ابن مسكويه، أحمد بن محمد (ت . ٤٢١ هـ – ١٠٣٠ م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم. بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦٥ م (١٣٨٥ هـ).

(د) البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٤٤٠ هـ – ١٠٤٨ م)

الآثار الباقية عن القرون الخالية. ليبنرج، ١٨٧٨ . (١٢٩٦ هـ) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة.

ويلاحظ أن هؤلاء المؤرخين كان لهم باع في علوم أخرى، بل إنهم محور تنازع بين الدارسين في مجالات مختلفة. فالمسعودي جغرافي يشار له بالبنان إلى جانب كونه مؤرخا وكذلك المقدسي، أما ابن مسكويه فقد كان رجل دولة وسياسة أما البيروني فأشهر من أن يغفل مجهوده في علوم الطب والصيدلة والحساب معروفة وكان دارساً للفلك عالما باللغة العربية

والفارسية والسنسكريتية واليونانية والسريانية حتى أن أحد المستشرقين يصف البيروني بأنه «أكبر عقلية في التاريخ» .

* * *

تكليف : يوزع الطلبة على مجموعات، وتتولى كل مجموعة كتابة مبحث يقسمون عناصره بينهم عن واحد من هؤلاء المؤرخين الأربع، حياتهم، تكوينهم العلمي، تلخيص موجز لكتبهم المشار إليها.

الفرض التنظيمي : فريق البحث أو البحث الجماعي أصبح روح العصر في كثير من المجالات كما أن بعض البحوث لها جوانب متعددة ومعقدة لا يستطيع الباحث الفرد أن ينجزها.

وقد ذكر روم لاندو أن المسعودي من «المؤرخين ذوي الطابع الكلي الشمولي وهو بغدادي فاز بلقب هيروبتس العرب ولقد اصطنع طريقة الموضوعات Topical Method في تدوين التاريخ مستقطبا الأحداث حول السلالات الحاكمة والملوك. وكان أسلوبه نابضا بالحياة ظريفا بسبب لجوئه إلى الحكاية التاريخية ..»[1] فالمسعودي رتب كتابه ترتيبا موضوعيا وجعل محوره الملوك والدول والشعوب ولم يتبع النظام الحولي أي التاريخ لكل سنة على حدة ثم السنة التي تليها فالتي تليها وهكذا، وهو ما فعله الطبري. ولا يقل المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم عن المسعودي رغبة في المعاينة للبلاد والمعايشة للأحداث وقد تكبد في سبيل ذلك كثيرا من النصب فقد «أكل مع الصوفية الهرائس ومع الخانقين الثرائد ومع النواتي العصائد وطرد في الليل من المساجد وتاه في الصحاري وساح في البراري وصدق في الورع زمانا وأكل الحرام عيانا» . . . إلى آخر حديثه الطريف.

ومرة أخرى نؤكد أننا لسنا بصدد التأريخ للكتابة التاريخية فحسب، وإنما نحن نستفيد من هؤلاء المؤرخين القدامى في منهج الكتابة التاريخية رغم قدم عصورهم إذ يتعين على دارس التاريخ اليوم إن أراد أن يؤرخ لبلد أو قطر - أن يضمن بحثه مقدمة أو تمهيدا عن الظروف الجغرافية لهذا البلد وإذا أرخ لموقعه حربية ذكر نتفا عن مكان هذه الموقعه وما يحيط بها من

(١) لاندو روم : الإسلام والعرب . ترجمة منير البعلبكي. بيروت، دار العلم للملايين ١٩٧٧ ط ٢، والمؤلف أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة المحيط الهادي بكاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية.

جبال أو صحاري أو أنهار وأثر ذلك كله في سير القتال.

أما ابن مسكويه فقد كان كاتب سر الوزير المهلبي وكان بعد ذلك صاحب حظوة لدى ابن العميد فعرف الرجل أسرارا ومن هنا كانت نظرته للتاريخ عميقة لأنه كان غالبا يعرف السبب الحقيقي للحدث لا السبب الذي يلقي في روع العامة.

٦ - استوي علم التاريخ على سوقه ناضجاً يافعاً ، بدأ مرتبطاً بالدين عامة وعلم الحديث خاصة واستمر متخذاً منهج علماء الحديث في العنعنة وتوثيق الخبر مع شيء من التحرر متخذاً ماضي البشرية - ليس حديث الرسول (ص) فقط - موضوعاً له متتبعاً أحوال البشرية عاماً فعام كلما كان ذلك ممكناً وكان هذا على يد الطبري ثم نضج أكثر فأصبح علم دراية لارواية على يد المسعودي وابن مسكوية هذا هو التطور الحاصل حتى القرن الخامس الهجري . لكن هذه المراحل لاتأتي لتجبَّ المرحلة السابقة عليها أو تنهيها، فليس معني أن المقدسي أو المسعودي لم يستخدما نظام الحوليات أي التاريخ لسنة سنة أن هذه الطريقة في الكتابة التاريخية قد انتهت إلى غير رجعة .. فهذا في الواقع مالم يحدث وماكتبته الدراسات التي تابعت الكتابة التاريخية بعد ذلك، بل مازال بعض المؤرخين المحدثين يتخذون موضوعاً لكتاباتهم التاريخية قرناً من الزمان أو عقداً من قرن ..

تدريبات وتكليفات

عرفت أهمية كتب التراجم ، وعرفت أن هذه الكتب أو المراجع نشأت أساساً في أحضان علم الرجال ذلك العلم الذي نشأ كعلم مساعد للحديث رغبة من رجال الحديث في التثبت من طباع وأخلاق من يروون عنهم .

وبالإضافة لذلك فأنت كطالب تدرس التاريخ لابد لك من الرجوع لهذه المراجع - كتب التراجم - في بحوثك التاريخية :

١ - بعض البحوث التاريخية تتخذ موضوعاً لها شخصية دينية أو علمية أو أدبية أو سياسية ومن ذلك :

- مروان بن محمد ونهاية الدولة الأموية .

- الأمين وعصره .

- عثمان دان فوديو ودوره في غرب أفريقيا في القرن التاسع عشر .

- أحمد عرابي

- محمد بن عبد الوهاب .... الخ .

٢ - عند تحقيق مخطوط، سواء أكان ذلك لنشره أم لتقديمه مع دراسة وتوطئة للحصول على درجة علمية لابد لك من التعريف في الهوامش بكل الشخصيات الواردة في المخطوط بالإضافة لأمور أخرى .

والآن تصفح هذه القائمة من كتب التراجم، واختر اثنين منها لتدرسهما بعناية في المكتبة وتكتب عنهما تقريراً يشمل:

(أ) فكرة عن المؤلف وعصره ، مركزاً على ميول المؤلف واتجاهاته ومذهبه .

(ب) الفترة الزمنية التي تناولها المؤلف، وهل اكتفي بالتأريخ لرجال قرن بعينه أو دولة بعينها أم تناول المشاهير السابقين عليه والمعاصرين له .

(جـ) هل تناول المؤلف المشاهير عامة أم تناول طائفة منهم : كالشعراء أو الأدباء والأطباء وما إلى ذلك .

(د) هل تناول المشاهير رجالاً ونساء أم قصر كتابه على الرجال دون النساء أو النساء دون الرجال .

(هـ) كيف نظم كتابه ورتبه؟ هل رتبه هجائياً بالأسماء الأول للشخصيات التي يترجم لها أم بالإسم الأخير أو اسم الشهرة أم رتبه تاريخياً وفقاً لسنوات الزمن أم رتبه طبقة طبقة .. إلى آخر أنواع الترتيب .

(و) وعند تناوله للشخصية التي يؤرخ لها هل يطنب أم يوجز وماهي العناصر التي يذكرها عادة؟ اضرب أمثلة على ماتذكر من واقع الكتاب نفسه ..

١ – ابن حيان القرطبي ، أبو مروان بن خلف (٣٧٧ – ٤٦٩هـ) (٩٨٧ – ١٠٧٦م) المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، حققه وقدم له وعلق عليه محمد على مكي . القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٩٧١ .

٢ – ياقوت الحموى (٥٧٥ – ٦٢٦ هـ (١٩٧٩ – ١٢٢٨ م) معجم الأدباء . القاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، ١٩٣٦ – ٢٠ ج .

٣ – أبو شامة، عبد الرحمن بن اسماعيل (٥٩٩ – ٦٦٥ هـ) (١١٩٧ – ١٢٦٧ م) .

تراجم رجال القرن السادس والسابع . القاهرة ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٩٤٧ .

٤ – ابن الساعى ، على بن الأنجب المعروف بالخازن (٥٩٣ – ٦٧٤ هـ) (١٩١٧ – ١٢٧٥م) .

نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإحاء . حققه وعلق عليه مصطفى جواد ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٨ .

٥ – ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر (٦٩٦ – ٧٦٤ هـ) (١٢٢١١ – ١٢٨٣ م) .

وفيات الأعيان وأبناء الزمان . بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٢ – ٨ مج .

٦ – الكتبى ، محمد بن شاكر (.. – ٧٦٤هـ) (.. – ١٣٦٣ م) فوات الوفيات ، حققه وضبط حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١ – ٢مج .

٧ – الصفدى ، صلا ح الدين خليل بن أيبك (٦٩٦ – ٧٦٤ هـ ١٢٩٦ – ١٣٦٣ م) .

الوافى الفيات . الأستانة ، مطبعة الدولة ، ١٩٣١ .

٨ – ابن حجر العسقلانى ، أحمد بن على (٧٧٣ – ٨٥٣ هـ) (١٣٧٢ – ١٤٤٩ م) .

الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، حققه وقدم له ووضع فهارسه محمد سيد جاد الحق القاهرة، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٦ – ر١٩٦٧ – ٥ مج .

٩ – ابن القاضى ، أحمد بن محمد (٩٦٠ – ١٠٢٥ هـ) (١٥٥٣ – أبو النور . القاهرة ، دار التراث ، ١٩٧٠ .

١٠ – الغزى ، نجم الدين محمد (٩٧٧ – ١٠٦١ هـ) (١٥٧٠ – ١٦٥١ م) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة . بيروت ، بيروت ، المطبعة الأمريكانية ، ١٩٤٥ – ١٩٥٨ – ٣ مج .

١١ – المحبى ، محمد أمين بن فضل الله (١٠٦١ – ١١١ هـ (١٦٥١ – ١٦٩٩ م) .
خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر . بيروت ، مكتبة خياط ١٩٦٦ ، ٤ مج .
١٢ – المرادى ، محمد خليل بن على (١١٧٣ – ١٢٠٦ هـ) (١٧٦٠ – ١٧٩١ م) .
سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر . بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٩٦٨ – ٤ مج فى ٢ مج .
١٣ – العاملى ، زينب بنت على بن حسين (١٢٧٦ – ١٣٣٢ هـ) (١٨٦٠ – ١٩١٤ م) .
كتاب الدرر المنثور فى طبقات ربات الخدور . القاهرة المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٨٩٤ م)
كتاب الدرر المنثور فى طبقات ربات الخدور . القاهرة المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٨٩٤ .
١٤ – الزركلى ، خير الدين : الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين . القاهرة ، ١٩٦٣ – ١٠ مج .
١٥ – عمر رضضال كحالة . أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام . دمشق المكتبة الهاشمية ، ١٩٤٠ – ٣ مج .

أهم مراجع الدراسة

أوردت هنا أهم المراجع ، أما المراجع التى عدت إليها مرة أو مرتين لفقرة أو فقرتين فقد أشرت إليها فى حواشى الكتاب ، وقائمة المراجع هذه مرتبة وفقاً لأهميتها بالنسبة لمؤلفى هذا، كما ذكرت نبذة عن بعض الكتب لتعريف القارئ أو الطالب بها .

● كثير من الحقائق والإستنتاجات الواردة فى هذا الكتاب ، خبرات خلصت بها من بعض الأبحاث السابقة التى قمت بها .

● الشيخ ، عبد الرحمن عبدالله

- **حيازة الأرض فى نيجيريا فى القرن التاسع عشر** . القاهرة ، جامعة القاهرة - معهد البحوث والدراسات الأفريقية - رسالة دكتوراه غير منشورة . استخدمت هذا المرجع فى اقتباس نماذج وطريقة استخدامها .

- **تاريخ التعليم فى غانا من ١٧٥١ إلى ١٩٦٣** . القاهرة ، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، استخدمت هذا المرجع فى اقتباس نماذج من الوثائق وطريقة تقويمها والحكم عليها واستخدامها .

- **الصحافة الكويتية ؛ دراسات تاريخية توثيقية** . الكويت ، مؤسسة الصباح ١٩٧٥ .

استعنت به فى مجال الحديث عن الصحف كمرجع تاريخى .

- مجموعة مقالات مسلسلة عن **الإعجاز التاريخى للقرآن الكريم** نشرت فى جريدة السياسة الكويتية ، ١٩٨٢ .

استفدت منها عند الكتابة عن التفسير الدينى للتاريخ .

- مقالات مسلسلة عن **خريطة العالم الإسلامى من منظور تاريخى جديد** . نشرت فى جريدة السياسة، ١٩٨٢ .

● جيتس ، جين كى : **دليل القارئ والباحث لاستخدام الكتب والمكتبات** . ترجمة الدكتور عبد الرحمن عبدالله الشيخ ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٩٧٩ .

استعنت به عند الحديث عن النقد المادى للوثائق ، والإشارات المرجعية (الحواشى)

واستخدام الباحث التاريخي للمكتبة. ومما يذكر أن هذا الكتاب أحد المراجع المستخدمة في الجامعات الأمريكية لدراسة مناهج البحث، كما أشار إليه الدكتور إبراهيم طرخان كمرجع هام في مجال استخدام المكتبة في مذكرته عن (مقدمة في علم التاريخ) المكتوبة في ١٩٧٨م.

● جامعة الرياض (الملك سعود) : **دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الأبحاث العربية، الأبحاث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية في ٥ - ١٠ جمادى الأولى ١٣٩٧ الموافق ٢٣ - ٢٨ أبريل سنة ١٩٧٧** . قسم التاريخ ، جامعة الرياض ، ١٩٧٧ . وقف على تصحيحه وطبعه الدكاترة عبد القادر محمود عبدالله وسامي الصقار ورتشرد مورتيل . باشراف الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري . ٢ ج.

رجعت في هذا المرجع العام للبحوث التالية :

(أ) الباشا ، حسن : **أهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية في العصر الإسلامي** . جـ ١ ص ٨١ - ١٢٦ .

(ب) العثيمين ، عبدالله صالح : **الشعر النبطي مصدراً لتاريخ نجد** . جـ ١ . ص ٣٧٧ - ٣٩٦ .

(جـ) يحيى ، لطفي عبد الوهاب : **الجزيرة العربية في المصادر الكلاسية** . جـ ١ ص ٥٥ - ٧١ .

(د) قاسم ، جمال زكريا : **الدوافع السياسية لرحلات الأوربيين إلى نجد والحجاز في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين** . جـ ١ . ص ٩ - ٢٨ \ .

(هـ) أوغلي ، خليل ساحلي : **مخطوطات عن الجزيرة العربية في مكتبة جامعة اسطنبول** . جـ ٢ . ص ١٤٥ - ١٦٢ .

(و) إبراهيم ، عبد اللطيف : **وثائق الموقف على الأماكن المقدسة** . جـ ٢ ، ص ٢٥١ - ٢٥٤ .

هارون ، عبد السلام : **تحقيق النصوص ونشرها** . القاهرة ، مكتبة الخانجي، ١٩٧٧ . ط ٤ .

• كولنجوود ، ر.ج : **فكرة التاريخ** . ترجمة محمد بكر خليل ، راجعه محمد عبد الوهاب خلاف . القاهرة ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٨ . كتاب رائع استفدت من مقدمته من صفحة ٣٠ إلى صفحة ٤٤ ، أما بقية الكتاب فمن تاريخ التاريخ، أو استعراض تاريخ الكتابة التاريخية عند الأغريق والرومان والجزء الثانى فمن تأثير المسيحية والثالث عن التاريخ العلمى تناول فيه فلاسفة التاريخ من المذهب الوضعى إلى هيجل وماركس، أما الجزء الرابع فيتناول تاريخ التاريخ فى البلاد الأوروبية المختلفة . ونحن لم نتناول تاريخ علم التاريخ بالتفصيل فى كتابنا هذا خلا إشارات عن التاريخ عند المسلمين ، لذلك فكتاب كولنجوود هذا من الكتب التى نقترحها للدارس والباحث الذى يريد مزيداً من التفاصيل فى هذا الموضوع .

• عثمان ، حسن : **منهج البحث التاريخى** . القاهرة، دارالمعارف ، ١٩٧٠ . كتاب رائد ، لكنه يتسم بالصعوبة فى كثير من فصوله ، خاصة بالنسبة للطلبة الجامعيين .

صديقى ، عبد الحميد : **تفسير التاريخ** ، الكويت ، دار القلم ، ١٩٨٠ .

حسن ، على إبراهيم : **استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ الإسلامى الوسيط** . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٠ . الطبعة الثالثة .

• مايرز، ج.ل. **فجر التاريخ** . ترجمة على عزت الأنصارى . راجعه الدكتور عبد العزيز كامل . القاهرة ، مركز كتب الشرق الأوسط ، ١٩٦٢ .

تعرض المؤلف لشعوب بلاتاريخ ، وقد نفيت هذه الفكرة وجرى الاستشهاد بآراء مايرز على الخروج على الحياد والنظرة المتعالية التى تنظرها الشعوب الأوربية للمناطق الأفريقية .

• وسينوبوس ، لانجلو ، وبول ماس وزانويل كنت : **النقد التاريخى** ، ترجمة عبد الرحمن بدوى . القاهرة، دار النهضة العربية ، ١٩٦٣ . كتاب صعب الصياغة لاينصح به الباحث المبتدئ .

• الكرملى ، الأب انستاس : **النميات العربية وعلم المسكوكات** . القاهرة، مكتبة الأنجلو ، د ت .

• روزنتال، فرانتز : **علم التاريخ عند المسلمين** . ترجمة صالح أحمد العلى ، مراجعة

محمد توفيق حسين . بغداد مكتبة المثنى ، ١٩٦٣ .

• مجموعات وثائق :

(أ) الجمل ، شوقى عطاالله : **الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر ١٨٦٣ – ١٨٧٩** . القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٥٩ .

(ب) نصر، السيد يوسف : **الوثائق التاريخية للسياسة المصرية فى أفريقيا القرن التاسع عشر** . القاهرة ، دار المعارف ١٩٨٠ .

● حسين ، محمد أحمد : **الوثائق التاريخية** . القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٥٤

وهو الكتاب الوحيد بالعربية – فيما أعلم – الذى يُقدم تعريفاً بدور الوثائق فى العالم ذاكراً شيئاً عن محتوياتها ولوائحها ونظم استخدامها . وقد استفدت منه عند تقديم تعريف بدور الوثائق فى العالم فى الباب الأول من كتابى هذا .

• Nusenson, Samuel & William A. De Witt : Greatest events. New York, Grosset & Duuniop, 1954 .

كتاب مبسط وطريف وقد استفدت منه كثيراً فى انتقاء السمات الحضارية للعصور . ونظراً للغته المبسطة فهو من الكتب التى ننصح الطالب الرجوع إليها لتدريبه على القراءة بلغة أجنبية .

• Miles, George C.: **The coniage of the Arab Amirs of crete**. N.Y., The Amerucan Numesmatec Society, 1970 .

• Plant. Richard : **Arabic Coins and how to read tbem.** London, Seadby, 1973.

مع أنه باللغة الإنجليزية إلا أن لغته بسيطة كما أنه زاخر بالصور والنماذج من العملات الحديثة والقديمة وفى إمكان الطاب أن يستفيد منه على أية حال . ورقم تصنيفه فى المكتبات هو 737. 4956.

• Sydenham , Edward: **The Coinage of the Roman Republic** . New York.

• الحسيني ، محمد باقر : **العملة الإسلامية في العهد الأتابكي** . بغداد دار الجاحظ ، ١٩٦٦ .

• اعتمدنا في تغطية الفصل الثالث عن الأنثروبولوجيا والتاريخ على : محمد السيد غلاب : تطور الجنس البشري، وسعاد شعبان : مذكرة في علم الأنثروبولوجيا . ومادة أنثروبولوجيا في الموسوعة العربية الميسرة وجورجي زيدان : طبقات الأمم . وفرانكلين بومر : الفكر الأوربي الحديث. ترجمة أحمد حمدي محمود.

رقم الإيداع : ٥٨١٩ / ٩٣